

المسرح الجزائري المعاصر

تعود الإرهاصات الأولى للمسرح الجزائري إلى بداية القرن العشرين، وإن كان البعض يرجعها إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حين ظهر مسرح الظل والقراقوز حيث يذكر الرحالة الألماني "مالستان" أنه «شاهد هذا المسرح في قسنطينة عام 1862م، ولكون هذا الشكل المسرحي كان ينتقد الوجود الاستعماري في الجزائر، فقد منع خوفا من أن يصبح أداة للثورة، إضافة إلى مسرح الحلقة والفرج الشعبية في صورها البدائية التي سبقت الميلاد الحقيقي للفن المسرحي الجزائري، والذي اكتسب فنيته الأدبية بعد جملة مراحل تعاقب عليها، وهي: مرحلة المسرح الفرنسي، ومرحلة المسرح العربي، ومرحلة مسرح الحركات الثقافية.

بداية المسرح الجزائري المعاصر:

عرف المسرح الجزائري يقظة حقيقة بعد الحرب العالمية الأولى، فمنذ سنة 1926م ظهر شكل يختلف عن الأول، فبعد قدوم فرقة "جورج أبيض" إلى الجزائر وبعد تأسيس الفرق المسرحية الجزائرية، قدمت فرقة "المهذبية جمعوية الآداب والتمثيل العربي" ثلاث مسرحيات من تأليف رئيسها **علي الشريف الطاهر** «الذي يعد أول مؤلف مسرحي جزائري في عصر النهضة، وهذه المسرحيات هي "الشفاء بعد الغناء" في فصل واحد سنة 1921، و"قاضي الغرام" في أربعة فصول سنة 1922م، ومسرحية "بديع" في ثلاثة فصول سنة 1924.

وكان أبرز ذلك التحول هو «استعمال العربية الدارجة في الحوار بدل اللغة الفصحى، والتحول من الدراما، ويعزى ذلك إلى الاجتماعية الجادة إلى الكوميديا، وأيضا الجمع بين التمثيل والموسيقى والغناء والرقص أحيانا»، الأسلوب الشعبي الجزائري الخالص، والمتمثل في الحياة الشعبية البسيطة بطبقاتها الفقيرة والمعدمة، والتي تركز على الغناء والطرب والفكاهة . ومن أشهر رجال المسرح في هذه الفترة "علالو" و"دحمون" اللذان كرسا جهودهما لإقامة الركائز الأولى للمسرح العربي في الجزائر، وكذلك "رشيد القسنطيني ومحي الدين باشطارزي، وكان لكل واحد منهم دور أساسي في تطوير المسرح الجزائري، فعلالو مثالا كان له السبق في

عرض مسرحيته "جحا"، التي يعلق عليها باشطارزي قائلاً: إن هذه المسرحية -جحا- التي مثلت باللهجة العامية مكنتنا من تحقيق شوط كبير في مجال استقطاب الجمهور، ومن ثم فإنني اعتبر علالو ابتداء من هذا التاريخ - 1926 مؤسس المسرح الجزائري .

لقد عرف "علالو" من خلال هذه المسرحية كيف يستقطب، ويعالج قضايا عصره باللغة التي يفهمها، ثم كتب عدة مسرحيات منها "عنتر الحشايشي" و"زواج بوعقلين" وأبو الحسن أو النائم اليقظان و"حلاق غرناطة". واستمرت عطاءاته إلى سنة 1932 أين توقفت، وذلك راجع إلى القانون الذي كان يمنع الجمع بين وظيفتين في آن واحد... فقرر حينئذ الانقطاع عن المسرح، لأنه لا يستطيع أن يعيش من المسرح وحده .

وفي الثلاثينيات عرف المسرح الجزائري عصراً ذهبياً على يد رشيد القسنطيني الذي كان أول من أدخل فكرة الأداء المرتجل إلى المسرح الجزائري، حيث ألف أكثر من مائة مسرحية واسكاتش، وقرابة ألف أغنية، وكثيراً ما كان يرتجل التمثيل حسبما يلهمه الخيال، بعدما اكتفى في مراحله الأولى بالتمثيل وكان يقدم مسرحيات نقدية ساخرة وذلك في أسلوب يحاكي أسلوب الكوميديا الإيطالية المرتجلة من استخدام الحدث المليء بالمفاجآت المثيرة للضحك.

ظهر محي الدين باشرزي الذي زاول الإنشاد الديني في شبابه، ثم تحول إلى الغناء واشتغل مدرساً للموسيقى، ثم اتجه إلى المسرح وألف حوالي ثمانين من أشهر مسرحياته هي: فاقو، من أجل، وما يسجل الشرف، النساء، تشيك تشوك، دار المهايل، الراقد، البنت الوحشية، ما ينفع غير الصح... الخ على مسرحيات هذه الفترة التي تعتمد الاقتباس أو "الجزارة" أي التحويل إلى اللهجة الجزائرية . ومع بداية الثورة المسلحة ظهرت عدة فرق منها فرقة "الموسيقى العربية" ومديرها محي الدين باشرزي التي قدمت مسرحيات "لرشيد القسنطيني" و"نقل عبد الله" و"حسين بردوز" و"وضاح محمد" .. وظهر المسرح الثوري لأن بتأسيس الفرقة المسرحية التابعة لجبهة التحرير سنة 1958م، واعتبرت نواة المسرح الوطني الجزائري اليوم، هذه الفرقة قامت بمهمتها النضالية وانحصر دورها الرئيسي في تكذيب دعايات

المستدمر والدعوة إلى الثورة المظفرة . أما التطور الحقيقي للمسرح الجزائري وميلاده الرسمي فقد كان بعد نيل الجزائر استقلالها عام 1962م حيث أعلن عن إنشاء المسرح الوطني الجزائري سنة بعد الاستقلال، وفتحت فروعها الجهوية في كل من وهران وبلعباس وقسنطينة وعنابة، وتنوعت عروضها المسرحية من التراثي إلى الاجتماعي والتاريخي إلى السياسي لتنبئ بولادة اتجاهات المسرح الجزائري الحديث فيما بعد، وكانت سببا في ظهور تجارب مسرحية جزائرية معاصرة كان لها موقعها بين التجارب العربية والعالمية على حد سواء .

المراجع:

- عقيدى امحمد: واقع وآفاق المسرح في الجزائر، الحوار المتمدن، عمان، الأردن، 2012.